

لن تتحمل الصحافة صدمة انتخابية

كرم نعمة

كاتب عراقي مقيم في لندن

لم يشعر الصحفيون والمعلقون بالقلق والتشويش مثلما يحصل اليوم وقبل أيام من انتخابات الرئاسة الأمريكية في الثالث من نوفمبر المقبل.

الوقوف باستطلاع الرأي أكثر مما ينبغي علم الصحافة الدرس الأقسى في تجربتها، ورفع من درجة حساسيتها وهي تصنع قصتها عن دونالد ترامب وجو بايدن. لا تريد الصحافة أن تتخذه باستطلاعات الرأي مرة أخرى، وإن كانت من كبرى المؤسسات البحثية.

انتخابات الرئاسة الأمريكية ليست شأنًا محليًا أميركيًا، لأن تداعياتها ستشمس العالم برمته ويوجد ترامب تحولت القصة إلى تلفزيون واقع يدور من قبل رئيس يختلف بشأنه العالم كما لم يحدث مع أي رئيس أميركي سابق.

ثمة درس سياسي تقدمه الانتخابات الأمريكية أكثر من الدرس الديمقراطي، الأمر الذي يشغل الصحافة ويثير اهتمامها. استطلاعات الرأي كانت خادعة في انتخابات سابقة وعلمت الصحفيين الدرس الأهم منذ هزيمة هيلاري كلينتون وفوز حزب المحافظين في بريطانيا بقيادة بوريس جونسون.

كانت السفارات الأمريكية في العواصم الكبرى تفتتح صالاتها أمام الصحفيين حتى الفجر لمتابعة نتائج الانتخابات السابقة، فهناك على الطرف الآخر من الكرة الأرضية، من لا يفضل النوم عندما يكون الأميركيون مشغولين بالتصويت، لأن نتيجة انتخابات هذا العام ستكون صدمة سواء بفوز أو هزيمة ترامب؛ لذلك تبدو القصة صحافية بامتياز في جميع أنحاء العالم.

صحافية بريطانية على درجة من الأهمية مثل سوزان مور، فضلت أن تتامل أكثر مما تحلل وهي تكتب عن الانتخابات، مسائلة عما إذا كان المرء سيوصف بالمتهور وهو يعبر عن رغبته بهزيمة ترامب!

تتحلل مور اليوم التالي للانتخابات وتكتب "إذا فاز ترامب هل سيتمكن أي شخص من النهوض من فراش النوم؟" وتقول "ما زلت أحاول معرفة المكان الذي ساكون فيه في تلك الليلة، ويبدو الأمر بسبب إجراءات الإغلاق، كما لو أنني لن أكون قادرة على أن أكون حيث أريد ومع من". هذا تعبير صحافي عن القلق تعترف به سوزان مور من دون مواربة.

فرق الوقت بين الولايات المتحدة والعالم قصة صحافية، فعندما يكون العالم نائمًا في الجهة الأخرى من الكوكب يعيش أحلامه أو كوابيسه في الثالث من نوفمبر، تكون المدن الأمريكية إما ترقص احتفالًا وإما تعيش تحبة جديدة لأربع سنوات أخرى، تلك المفارقة ستتكرر بدرجة متفاوتة في دول أخرى، وهنا تكمن أهمية القصة بالنسبة للصحافة غير الأمريكية، لأنه سيتم تحديد الفائز ليس في صناديق الاقتراع وحدها، هناك وسائل التواصل الاجتماعي وثمة ما هو أكثر على الهواتف الذكية، وسائل الإعلام الرقمي ربما من يحدد الفائز هذا العام، لذلك شكك ترامب بديمقراطية بلاده العريقة مذكرًا بالمحاكم!

صحف كبيرة أطلقت السؤال المخيف عما إذا كانت وسائل الإعلام الرقمية ستكون أكثر أهمية من صناديق الاقتراع عندما تتلاعب بمزاج المصوتين، وهذا سبب كاف يجعل الصحافة لا تحول هذه المرة على استطلاعات الرأي في كل ما تنتشره عن الصراع المثير لترامب مع أربع سنوات رئاسية أخرى. ذلك ما دفع أيضًا قيادي في الحزب الديمقراطي إلى اعتبار استطلاعات الرأي مجرد سراب لا يمكن الاعتماد عليها.

جملة إن صحة الاقتراع مرتبطة في نهاية المطاف بصحة الديمقراطية. ستتكرر كثيرا في ما نشرته وسائل

فوضى استطلاعات الرأي في العالم العربي آلية لتقييد الاختيار

استطلاعات متناقضة تكشف تجازبا إعلاميا حادا



فيما يفكر الناس

في المئة من العرب في البلدان المستطلعة يرفضون الاعتراف بإسرائيل، من ضمنهم 85 في المئة من المصريين، و91 في المئة من الفلسطينيين، و93 في المئة من الأردنيين، و65 في المئة من السعوديين، وأن الرأي العام العربي متوافق وشبه مجتمع على أن سياسات "إسرائيل" تهدد أمن المنطقة العربية واستقرارها، وكالعادة احتفت وسائل إعلامية معروفة التوجه بالاستطلاع ونشرته.

وتكشف استطلاع الرأي هذا أن الجهة التي تتولى تنظيم الاستطلاع ذات توجهات معينة أو خاضعة لمؤسسات بعينها ذات ارتباطات بالجهات من مصلحتها أن تصب نتيجة الاستطلاع في صالحها، وهذا ما يطرح العديد من الأسئلة حول إشكالية تمويل الجهات القائمة باستطلاعات الرأي، فالأصل هو أن تقوم باستطلاعات الرأي جهات محايدة، ويتم تمويلها من بيع هذه الاستطلاعات. فلا يمكن النخاض عن أن تمويل بعض الاستطلاعات قد يكون موجهاً، ومن ثم لا يمكن أن تكون نتائج الاستطلاع موثوقة إلا إذا كانت تابعة لجهات مستقلة إدارياً ومالياً.

وبين هذا وذاك حازت استطلاعات الرأي الإسرائيلية مكاناً مهماً لها وهي صادرة عن مؤسسات إسرائيلية وإن كان من الصعب لشروط تتعلق بالموضوعية، أن يتم الاستناد إليها. وتؤكد استطلاعات الرأي المتضاربة وجود تباين في الرأي العام العربي، أولهما بات راعياً في إقامة علاقات مع إسرائيل وإن كان من الصعب الجزم بحجم هذا التيار ومدى قوته، في ظل عدم معرفة عدد المنخرطين فيه بدقة. وربما تعكس صورة وسائل التواصل الاجتماعي، بعد الإعلان عن اتفاق التطبيع بين الإمارات وإسرائيل، وإن حالة الرأي العام في العالم العربي، كانت أيضاً غير دقيقة، فبعد الإعلان مباشرة عن الاتفاق من قبل الرئيس الأميركي دونالد ترامب، تصدرت هاشتاغات متضاربة، بعضها محتف بالاتفاق وأخرى تحوّل المشاركين فيها، موقع تويتر.

ولا يمكن التاكيد بصورة دقيقة من حجم الرفض، أو التأييد الشعبي، للسلام مع إسرائيل، وذلك إما لعدم اهتمام من قبل السلطات العربية بهذا الشأن، وإما لعدم وجود استطلاعات رأي أو دراسات جدية، وكذلك لانحياز البعض إلى وجهة نظر معينة.

انطلاقاً من مقولة أن "الرأي العام دائماً هو نوع من الحقيقة المزبوجة" يعمد البعض، عند محاولة إضفاء طابع الشرعية على قضية معينة، إلى استدعاء استطلاعات الرأي، في وقت يؤكد فيه خبراء ومحللون أن الوظيفة المخصصة لاستطلاعات الرأي مفهومة، وهي للقول تحديداً إن "الشعب معنا".

لندن - يجمع خبراء الإعلام على أن استطلاعات الرأي في العالم العربي أصبحت كيدية، وعلى الرغم من أهميتها كونها تعكس ما يفكر فيه الناس وما يتطلعون إليه، إلا أن ذلك لا ينفي عنها صفة التحيز خصوصاً إذا تعلق الأمر بالقضايا السياسية. وشهدت عناوين الأخبار في المواقع الإلكترونية العربية هذا الأسبوع "تراشق" استطلاعات رأي متناقضة موضوعها "رأي المواطنين العرب في السلام مع إسرائيل".

وقالت مواقع إعلامية تابعة لدول خليجية، إن أغلبية العرب يؤيدون السلام مع إسرائيل اعتماداً على بعض استطلاعات الرأي.

ونقلت وسائل إعلام تابعة لدول خليجية نتائج استطلاع للرأي أجرته مؤسسة "زغبي" الأمريكية، مؤخرًا، أفاد بأن أغلب المواطنين العرب يؤيدون إقامة السلام مع إسرائيل، نظراً إلى دوره في إشاعة الاستقرار.

وتقول مراقبون إن ذلك لا يظهر أن الاستطلاع مفضل بل قد يكون "يضيئي شرعية على اتفاق السلام على أساس أنه يعبر عن إرادة المواطنين". وعلى تويتر قال أفيحاي أدري المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي "لا صوت يعلو على صوت العقل. كشف استطلاع للرأي أن أغلب المواطنين العرب يؤيدون إقامة السلام مع إسرائيل نظراً إلى دوره في إشاعة الاستقرار. لقد أجري الاستطلاع في كل من مصر والأردن والسعودية والإمارات".

وكتب موقع "مسبار" الذي يعرف نفسه بأنه "منصة عربية لفحص التقارير المنشورة المتداولة ووجد أنها "مضللة وانتقائية". وتابع "مسبار" في تقريره الذي قال إنه "لا يتنبأ من صحة النتائج التي تضمنها استطلاع مؤسسة زغبي، إنما يتناول التضييل والانتقائية في تغطية بعض وسائل الإعلام لنتائج الاستطلاع"، أن "مؤسسة زغبي" نشرت استطلاع رأي في يوليو من العام الجاري، بعنوان "نقاش الضم: المواقف في إسرائيل والسلوك العربية الرئيسية".

وقبل أسبوعين، أعلن "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات" ومقره عالية، من شاركوا في الاستطلاع حول السلام مع إسرائيل، وهل هو أمر مرغوب فيه؟ وشمل الاستطلاع عينة من 3600 شخص من خمس دول عربية؛ هي الإمارات والأردن ومصر والسعودية وفلسطين، إضافة إلى أكثر من ألف إسرائيلي.



أغلب المواطنين العرب
يؤيدون إقامة السلام مع
إسرائيل، وفق استطلاع
مؤسسة زغبي الأمريكية

الإعلام، لكن الفائز هذا العام لن تحده صناديق الاقتراع وحدها، بل محكمة الرأي العام وهذا ما تحول عليه نسبة كبيرة من الآراء المنشورة. الصحافة أمام مسؤولية مهنية وهي لا تخفي تحزبها لترامب أو لبايدن، بينما يتواصل ضغط الجمهور عليها لتقديم نتائج تحليلية سريعة عن الفائز قبل إعلانه. ذلك الاختبار الأصعب الذي تمر به وسائل الإعلام في تاريخ الانتخابات التي تقود الفائز إلى البيت الأبيض. صورة الفائز ليست واضحة كما كانت استطلاعات الرأي تعلن عنه قبل فتح صناديق التصويت. هناك ما هو أكثر من استطلاعات الرأي وهذا سبب كاف يجعل من إدارة فيسبوك مثلاً تتحدث عن ضغط إستراتيجيتها وفرض قيود على النشر خصوصاً يوم التصويت. فيما تعمل إدارة تويتر بلا هوادة لتطبيق سياسات جديدة، استعداداً لليلة انتخابات معقدة، وربما فوضوية. يكفي تخيل الوضع الصعب الذي يواجهه موقعاً فيسبوك وتويتر، مع الجدل الذي رافق حذف مقال متبر حول بايدن قبل يومين. وسبق وأن عبر مارك زوكربيرغ مدير فيسبوك عن اعتقاده بوجود مخاطر متزايدة من حدوث اضطرابات مدنية في الفترة ما بين إجراء التصويت وإعلان النتيجة. يقول بيل مارسيلينو أستاذ العلوم السلوكية في تقرير نشرته مؤسسة راند الأمريكية "في ضوء التهديدات التي تعرضت لها الانتخابات في الماضي، من الممكن أن تحاول أطراف فاعلة خارجية مرة أخرى التأثير على الحملة السياسية الأمريكية لعام 2020 عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي".

الوثوق باستطلاع الرأي
أكثر مما ينبغي علم الصحافة
الدرس الأقسى في تجربتها،
ورفع من درجة حساسيتها وهي
تصنع قصتها عن دونالد ترامب
وجو بايدن

هناك "جنون مطلق" يرافق الانتخابات الأمريكية تشترك فيه وسائل الإعلام بدرجات مختلفة، إذ لا يمكن أن يقع اللوم على ترامب وحده، بل هناك اندفاع للتأثير على الديمقراطية، لذلك سيكون فجر الثالث من نوفمبر الأكثر أهمية في التاريخ السياسي المعاصر. وهذا ما تعتبره ريبيكا ليسر، المؤلفة المشاركة في كتاب "عالم مفتوح" الذي يتحدث عن النظام العالمي في القرن الحادي والعشرين. إن ديمقراطية الغرب على المحك. وتقول ليسر "هذه الانتخابات ستحدد الكثير من مستقبل الولايات المتحدة والعالم، لم تقل حملة ترامب سوى القليل جدا عن نواياها، وأظهرت أقصر بيان في سجلات السياسة الأمريكية". التحدي الحقيقي أمام القادم للبيت الأبيض هو تشكيل إجماع سياسي جديد بدوم لفترة رئاسية واحدة وهو تحدٍ مضاعف أيضاً أمام وسائل الإعلام. فمثل ذلك لم يحدث في ولاية ترامب، وأظهر أن الأميركيين مختلفون أكثر في ما بينهم، وانعكس هذا الاختلاف على العالم برمته كما عمل ترامب على مزاعمة باعتباره الصحافة ليست الطريق المثالي لديمقراطية حرة من تبادل المعلومات مشككا ومثيرا المزيد من الشكوك بحق الديمقراطية التي تعيش زمنًا ليس عادلاً بحقه. وهكذا تضع انتخابات الثالث من نوفمبر أمورا كثيرة على المحك تتقدمها السياسة فيما تتبؤا الصحافة درجة متقدمة فيها.